



أدعياء

بقلم الدكتور محمد مصطفى حجازي

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب - جامعة القاهرة

قال الشيخ المرشد لمريده
المسترشد :

لعلك تذكر أننا بدأنا منذ حين
تدبر فيما بيننا حديث العقل والقلب
وأننا جعلنا من الحقيقة وما تنطوي
عليه من معاني الحق واخير والجمال
موضوعا يجرى حوله هذا الحديث
بلسان العقل وأنظاره تارة ، وبلسان
القلب وأذواقه تارة أخرى .
وأزيدك اليوم علما بأنه لا سبيل لك
ولا لغيرك من أشباهك طسلا ب
الحقيقة إلى فهم ما تنطوي عليه هذه
الحقيقة من أسنى المعاني وأرقاها ،
ولا من أصفى المبادئ وأنقاها ، إلا
أن يكون لكل منكم عقل يحقق
وينطق ، وقلب يستشعر ويتذوق
وإلا أن يجتمع في ظاهر كل منكم
رباطه هذا القلب وعالم العقل

على تحقيق ما ينبغي أن يحقه الإنسان
الخلق بمعنى الإنسانية ، من المثل
العليا سواء في حياته الشعورية النفسية
أو في حياته النظرية العقلية ، أو في
حياته الخلقية العملية ، وسواء فيما
كان من هذا كله متصلا بسلوكه مع
نفسه أو مع غيره من أشباهه
أو مع ربه .

قال المريد المسترشد متسائلا :

وعلى أى وجه من أوجهه
الحديث سيدور حديثنا ؟ أسكون
على وجه مجرد نتحدث فيه عن
المعاني مجردة على نحو ما يفعل
الفلاسفة والصوفية ، أم أننا نشتغل
فهمها من خلال ما تشمل فيه وتصور
به من حياة الأفراد والجماعات ،
في مختلف الظروف والملابسات .

وعلى تباین الیثات والطبقات ؟

قال الشيخ المرشد مجيباً :

ليس من شك في أن الأفراد والجماعات إنما يصعدون في أحوالهم وأفعالهم وأحوالهم عن أفكار تعمل عملها في عقولهم من ناحية ، وعن عواطف توتئ أكلها في قلوبهم من ناحية أخرى ، وإذا كان ذلك كذلك فإن أقوم سبيل وأهدى طريق لمعرفة معاني الحقيقة معرفة واضحة جليلة لاشبهة فيها ولا غبار عليها ، هي أن ننظر في أنفسنا نس غيرنا وما تخفى ، وأن نحاول بما لدينا من وسائل التمهيص والتحليل ، وبما أتيج لنا من وسائل التفسير والتعليل أن نستشف ما تشتمل عليه هذه النفوس الإنسانية من عناصر تأتلف أو تختلف في حظوظها من الإستقامة أو الانحراف ؛ ومن الإعتدال أو الإسراف ؛ ومن خضوع لقوانين النظر والعمل والذوق القويمة ، أو من خروج عليها وجنوح عنها وهذا يعني بعبارة أخرى أن حياتنا وحياتة أشباهنا ، وما يبشأ في هذه

الحياة وتلك من صلات ، وما يترتب على هذه الصلات من آثار وثمرات وما تقوم به هذه الآثار والثرات من خصائص ومقومات ؛ كل أولئك وأشياء أخرى تتصل به من قريب أو من بعيد ، ينبغي أن نغني به ونقف عنده .

قال المريد المسترشد مستفسراً :
أفهم من هذا أنه لكي يكون حديثنا مجدداً منتجاً ، ولكي تكون نتائجه صحيحة مطابقة للواقع وملائمة لطبائع الأشياء ؛ فلا بد من وقفات .

قال الشيخ مجيباً :

من الناس من لا يعرف من لمصلحة إلا منفعة الشخصية الخاصة ، كم من الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المناد . .

كل أولئك وكثير غيرهم من أدعياء العلم الذين يزعمون لأنفسهم

ولتناس انهم من العلم في كل شيء
 وهم في الحقيقة ليسوا من العلم على
 شيء . . ومن ادعياء الخلق الذين
 يخادعون الله والانس باسم الخلق
 وهم في الواقع ليسوا من الخلق على
 شيء سنعرض لهم في حديثنا .
 وسنبين لهم أين هم بما يدعون . وأين
 أقوالهم وأفعالهم بما يأتون ويدعون
 بحيث تستطيع أنت وأشباهك من
 المريدين الذين يطلبون الحقيقة على
 ما هي عليه في ذاتها . لا على ما تبدو
 عليه أو تظهر فيه من حياة هؤلاء
 الادعياء الخادعين : أن تضعوهم
 حيث ينبغي أن يوضعوا من دركات
 الجهل والضلال والهوان والزور
 والبهتان . وترفعوا غيرهم من
 ليس منهم إلى ما ينبغي أن يرفعوا
 إليه من درجات العلم والهدى والعز
 والصدق والكرامة .

قال المريد المسترشد متسائلا :
 أفلا ترى يا سيدي أن حديثنا من
 هذا الطراز وعلى هذا الوجه قد
 يحق بعض الذين يجدون فيه مرآة
 يرون فيها أنفسهم ؟

قال الشيخ المرشد مخصيا :

ومن قال لك إن حق هذا الفريق
 من ادعياء العلم وأدنياء الخلق
 يعني في شيء ؟ ألا ترى أنه ليس
 أضر بالعلم والخلق من أن يترك
 هؤلاء يعيشون في العلم فسادا ويبحثون
 بالخلق إفسادا . يرددون ألفاظا
 وعبارات جوفاء . يوهمون بها
 السذج والبلهاء : ويتملقون بها
 العواطف والآهواء : ويتخذون منها
 سبيلهم إلى المآرب والغايات وما دروا
 أنهم إنما يعملون على سراب وأن
 الله قد كتب لهم أسوأ النهايات ؟
 ثم ألا ترى معي بعد هذا كله أن
 الحق كل الحق إنما هو في أن تقول
 كلمة الحق لوجه الحق ، وأن الخير
 كل الخير إنما هو في أن تأتي الخير
 لوجه الخير ، وأنه ليس ادعى لرضا
 الله ولا أبعث على راحة الضمير من
 أن تكون فيما أنت بسبيله من
 إصلاح وهداية عند ما ينبغي أن
 يصطنعه المصلح من صراة وشجاعة
 بحيث يقول للحسن أحسنت وللسيء
 أسأت ، وبحيث يكشف عما في نفس
 المحسن من أوجه الإحسان . وعما
 في نفس المسيء من أوجه الإساءة

دون أن يخشى في ذلك لومة لائم ،
 وأعله فيما يكشف عنه من نفوس
 الأدعياء المفسدين والأدنياء المسيئين
 لو جاهد أولئك وهؤلاء وأغلظ
 عليهم لسان أقوم طريقا وأهدى
 سبيلا ، فإذا أردت بعلمك وعملك
 وقولك وجهه الله فكان عقلا
 منزها عن الأغراض ، وكن قلبا
 مبرأ من الأمراض ،
 وكن ضميرا مجردا عن النزوات
 والآهواء ، ثم قل بعد ذلك ما شئت
 أن شئت ، فلا يكون قولك عند ذلك إلا حقا

وصدقا . وما أنذا قد حدثتكم اليوم
 ببعض ما أجد في عقلي وقلبي ،
 وسأحدثك غدا وبعد غد بما سأجده
 من بعضه الآخر ، وليس لي من
 وراء هذا كله من غاية إلا مجاهدة
 - الأدعياء المضالين ، ومحاربة الأدنياء
 المضالين الذين يقولون بأفواههم
 ما ليس في قلوبهم ، وإلا وجه الحق
 المبين إرضاء أعدائهم وابتغاء
 لرضا رب العالمين .

محمد مصطفى حلمي

أحاديث الجواهر

• — يا من أظهر الجميل وستر القبيح .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : نزل جبريل إلى النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم في أحسن صورة لم ينزل في مثلها قط ضاحكا مستبشرا فقال السلام
 عليك يا محمد قال وعليك السلام يا جبريل قال إن الله بعثنى إليك بهنية كنوز
 من كنوز العرش أكرئك الله بهن قال وما تلك البهنية يا جبريل فقال جبريل قل
 يا من أظهر الجميل وستر القبيح يا من لا يؤاخذ بالجريرة ولا يهتمك الستر يا عظيم
 العفو يا حسن التجاوز يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة يا صاحب كل
 نجوى ويا منتهى كل شكوى يا كريم الصفح يا عظيم المن يا مبتدئ النعم قبل
 استحقاقها يا ربنا يا سيدنا ويا مولانا وبأغاية رغبةتنا أسألك يا الله ألا تمشي خلق
 النار . رواه الحاكم وهو صحيح وأقره الشيخ .